KnowWar

Women Now For Development
النساء الآن للتنمية

مقاربة شمولية للبقاء:
استراتيجيات بحثية تحويلية في سياقات الحرب ومناطق النزاع

نسرين س. ح. | وهلموت كريغر | وأدريانا قبيعة | وكلاوديا فيسر

النساء الآن من أجل التنمية

منظمة **"النساء الآن من أجل التنمية" (النساء الآن)** هي منظمة نسوية تقودها نساء وتكرّس عملها لتعميق دور النساء في صياغة مستقبل ديمقراطي لسوريا وتعزيز هذا الدور. وتُعتبرُ هذه المنظمة التي أسستها في يونيو/ حزيران 2012 الكاتبة والصحفية السورية المشهورة سمر يزبك الآن أكبر منظمة نسائية في سوريا، حيث تخدم آلاف النساء والفتيات سنوياً داخل سوريا وفي الدول المجاورة، عبر ثلاثة برامج متكاملة في ثلاثة مجالات هي برامج الحماية، والتمكين، والمشاركة. كما تعمل منظمة "النساء الآن" على الأبحاث، والمناصرة، وإقامة الحملات على المستويين المحلي والدولي. وتركّز أبحاث المنظمة وأنشطتها في مجال المناصرة بصورة أساسية على إنتاج المعرفة النسوية مثل توثيق تجارب النساء وشهاداتهن وجمعها، وإجراء الدراسات والتحليلات الكمية والنوعية المعمّقة، والقيام بحملات التوعية المحلية والدولية المتعلقة بحقوق المرأة، والتحركات التي تقودها الناشطات، والمبادرات النسوية في المجتمع الأهلي، والعنف المبني على النوع الاجتماعي، وظروف معيشة النساء في سوريا.

عن معرفة الحرب

مشـــروع معرفـة الحرب (الإنتـاج المعرفي في زمن الحرب واللجوء - تطوير ارضـية مشـتركة لمجال البحث في وحول سـوريا)، هو مشـروع بحثي بالتعاون بين المركز السـوري لبحوث السـياسـات ودائرة دراسـات التنمية في جامعة فيينا وجمعية مساواة ومركز دراسات التنمية في جامعة بيزيت ومركز أبحاث ومركز أبحاث وتعليم السـلام وجامعة جبال الألب الادرياتيكية كلاغنفورت .

يتبنى المشـروع وجهات نظر العلوم الاجتماعية النقدية التي تشـخص جذور وديناميات النزاع المسـلح وتعمل على تحليل الجهات الفاعلة الرئيسـية وسـياسـاتها التي تؤثر على المؤسـسـات والمجتمعات وأسـس التنمية ويقرأ النزاع من منظور العدالة الاجتماعية.

بيان المسؤولية:

فيينا، 2022 © مشروع KnowWar، جميع الحقوق محفوظة.

سلسلة منشورات مشروع KnowWar
الآراء الواردة في هذا النص تعبّر عن مؤلفيه.
صورة الغلاف: راوية موسى
الترجمة: حازم إبراهيم
التصميم: أنس عبدربه

مقاربة شمولية للبقاء:

استراتيجيات بحثية تحويلية في سياقات الحرب ومناطق النزاع

نسرين س. ح. (أ)، وهلموت كريغر (ب)، وأدريانا قبيعة (ج)، وكلاوديا فيسر (د)

(أ) منظمة "النساء الآن من أجل التنمية"؛ (ب) قسم دراسات التنمية في جامعة فيينا بالنمسا؛ (ج) أكاديمية الفنون الجميلة في فيينا بالنمسا؛ (د) قسم الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية في جامعة فيينا بالنمسا

ملخّص البحث

نسلّط الضوء على القراءات، والتحليلات، والاستراتيجيات البحثية الخاصة بالنساء السوريات، لنقترح "مقاربة شمولية للبقاء" بوصفها استراتيجية بحثية تحويلية ضمن ظروف النزوح الجماعي والحرب. ونستند إلى التجارب البحثية لمنظمة "النساء الآن من أجل التنمية"، وهي منظمة نسوية سورية ، لنبيّن كيف تعتمد هذه الاستراتيجية التحويلية على إنشاء فضاء جماعي لتشارك الأفكار والانطباعات بين الباحثات (الميدانيات) والشريكات المشاركات في المقابلات. ونظراً للثقة المشتركة والألفة في هذه الفضاءات، فقد استطاعت النساء إيجاد مساحات للمُقَاوَمَة مكّنت من ظهور سرديات بديلة للسرديات المعمّمة، كما يتّضح وبطريقة مثيرة للإعجاب في حالة المبادرة السورية "عائلات من أجل الحرية". فقد اتّحدت النساء صاحبات المعرفة والتجربة وتوافقن في الرأي بخصوص مسائل النزوح القسري وإبراز أصوات النساء في النقاشات العامة. كان هناك تحويل للألم إلى فعل، بينما قادت المجموعة عملية البحث، وحددت غرضها واستراتيجياتها.

كلمات مفتاحية

النسوية، البحوث النسوية، البحوث المتحررة من الاستعمار، الاستراتيجيات البحيثة التحويلية، مناطق النزاع والحرب، سوريا

المقدمة

ثقّة صورة مذهلة لنساء يرفعن صوراً ضمن براويز لأحبائهن المعتقلين والمختفين يتكرر ظهورها على حسابات التواصل الاجتماعي لمبادرة "عائلات من أجل الحرية"[1]؛ وهي حركة ذات قيادة نسائية تطالب بالحرية والعدالة لأفراد العائلات المتضررين. وقد تمكّنت هذه المجموعة التي ظهرت إلى حيّز الوجود من تلقاء نفسها عام 2018 من تحشيد مجتمعات سورية مختلفة بهدف الحفاظ على الذكريات المتعلقة بأفراد العائلة والأقارب الذين تعرّضوا للإخفاء القسري أو الاعتقال على يد النظام السوري، أو المجموعات الجهادية المتطرفة، أو المعارضة المسلحة، أو قوات الإدارة الذاتية الكردية منذ 2011، حيث يطالب أفراد هذه المجموعة بالعدالة والحرية للجميع.

وكانت التأثيرات متعددة الأوجه لذلك الاختفاء على العائلات التي أُجْبِرَت على التعايش مع حالتي الخسارة والغموض قد وُثّقت في تقرير مشترك صادر عن "دولتي"، وهي منظمة مجتمع مدني سورية تعمل انطلاقاً

للتواصل: نسرين س. ح. ✉ research@women-now.org، هلموت كريغر ✉ helmut.krieger@univie.ac.at، أدريانا قبيعة ✉ aqubaia@gmail.com، وكلاوديا فيسر ✉ wieser_k@icloud.com

[1] الرجاء مراجعة: https://www.facebook.com/SyrianFamilies

من لبنان[2]، وعن منظمة "النساء الآن من أجل التنمية"، وهي منظمة نسوية سورية بارزة[3]. وأسهم تقريرهما البحثي[4] المنشور في عام 2018، والذي كان يُفترض أن يكون مشروعاً للتاريخ الشفوي، في إيجاد الأرضية للمزيد من التحشيد المجتمعي، الذي وُلِدت من رحمه مبادرة "عائلات من أجل الحرية". ولا يكتفي المشروع بالإسهام في توفير فضاء مطلوب بشدة للتعبير عن المطالب الجماعية للنساء السوريات بالعدالة، وإنما يشكّل أيضاً مثالاً لمجهود بحثي ينطلق من القاعدة إلى القمة. وبالتالي، فإنه يمثّل لحظة فريدة من نوعها يؤدي البحث والأرشفة فيها دوراً تحويلياً يساعد في المحافظة على دوام النضال السوري من أجل العدالة والحرية، وهو يُوظَّف كاستراتيجية للبقاء في أوقات الحرب والنزاع.

وبإلهام من هذا التقرير، ومن غيره من أبحاث منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" التي تعتمد مقاربة العدالة الجندرية (عدالة النوع الاجتماعي)[5] ، فإن مؤلفات ومؤلف هذه الورقة البحثية مهتمون بتحليل الكيفية التي تسمح للأبحاث أن تكون استراتيجية تحويل للمجتمعات التي تتناولها وتبثق منها. وفي هذه الورقة البحثية، نقترح ما نسمّيه "مقاربة شمولية للبقاء" كاستراتيجية بحثية تحويلية، ونجادل قائلات وقائلين إن من الضروري تبنّي هكذا مقاربة في سياق الحرب، بما أنها تعيد ربط البحوث بظروف إنتاج المعرفة التي تتسم بوجود عدم مساواة، وبأنها لا يمكن التنبؤ بها وعنيفة. وعلاوة على ما سبق، نتبنى موقفاً يقول بضرورة وجود توافق بين المصطلحات، والمفاهيم، وأطر التحليل، من جهة، والمجتمعات المحلية والمبادرات/ الحركات الاجتماعية التي تتصدى لتناولها – والتي غالباً ما تكون مستوحاة منها وتكون هي من يطورها – قبل نشرها ضمن عالم مؤسسات إنتاج المعرفة مثل المنظمات غير الحكومية، والمؤسسات الدولية، والمراكز الأكاديمية (تشاودري 2015، وتشاودري وكابور 2013، وكولينز وبيلج 2000، وعريقات وصاغية 2016). لذلك، فإن ورقتنا البحثية تسلّط الضوء على القراءات، والتحليلات، والاستراتيجيات البحثية الخاصة بالنساء السوريات ضمن ظروف النزوح الجماعي والحرب.

وعلى نحو أدق، تطرح هذه الورقة البحثية منظوراً فريداً من نوعه لعملية إنتاج المعرفة ضمن ظروف الحرب والنزاع عبر تسليط الضوء على تجارب فريق منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" في سوريا وخارجها. وعلاوة على ما سبق، تأتي هذه الورقة البحثية كنتيجة للتعاون بين منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" ومشروع "معرفة الحرب"، وهو مشروع بحثي مقرّه جامعة فيينا يهدف إلى تحليل الجوانب السياسية الكامنة خلف إنتاج المعرفة خلال الحرب والنزاع. نمتلك نحن مؤلفات ومؤلف هذه الورقة البحثية مواقف مختلفة، وهناك تباين جذري من حيث الامتيازات التي يتمتع بها كلّ منا. إلا أن ثمة قاسماً مشتركاً بيننا يتجلى في الالتزام بأخلاقيات البحث النقدي، والتشكيك الجذري في الطريقة التي تُنتج بها المعرفة والتي نسعى جاهدين على الدوام إلى تحديدها بناء على علاقتها بالسلطة والامتيازات.

عندما نتأمل في إمكانية (استحالة) إجراء البحث في سياقات الدمار الشامل والحرب، نواجه تحديين نستكشفهما أدناه. أولاً، وجدنا أن ترجمة النظريات النسوية المتاحة إلى أدوات بحثية ذات صلة وقابلة للتطبيق في سوريا تُغْفِل جوانب أساسية لإنتاج المعرفة في زمن الحرب، ما يجعل الأدوات غير كاملة، وغير كافية نوعاً ما. ثانياً، كان تطوير تحليل تحويلي للسلطة التي تحدد بشكل مركزي موضعية أصوات المعنيات بالبحث، وتجاربهن، واستراتيجيتهن، في وقت كنّ يواجهن فيه الخسائر الناجمة عن الحرب المديدة في أجزاء مختلفة من البلد، مهمة محفوفة بالتحديات بسبب التحوّل الدائم الحاصل في علاقات السلطة ضمن الأبحاث (بين فرق

---

[2] الرجاء مراجعة: https://dawlaty.org

[3] الرجاء مراجعة: https://women-now.org/ar/

[4] "خيالات المختفين السوريّين: شهادات قريباتهم عن الخسارة والغموض" (2018) https://women-now.org/ar/shadows-of-the-syrian-disappeared/

[5] راجعو: "قراءات النساء السوريات للمستقبل والحاضر والمفاهيم المرتبطة بهما" https://women-now.org/syrian-womens-readings-of-the-present-future-and-associated-concepts/

البحث والمؤسسات التي يتبع لها وبين الفئات المشاركة به والظروف الميدانية المرافقة للعمل البحثي الميداني. يعكس كلا التحديين عيوب الأدوات البحثية المتاحة، وهما يدعماننا في الذهاب إلى ما ذهبنا إليه بالمناداة باستراتيجية بحثية تحويلية تشمل مبادئ تحويل الألم إلى قوة، إضافة إلى بناء البحث من الأسفل إلى الأعلى (أو من القاعدة إلى القمة) بهدف صياغة "نحن" مشتركة.

التداخلات النسوية والمتحررة من الاستعمار (decolonial) في بحوث الحرب

في المقاربات البحثية السائدة في مجال العلوم الاجتماعية والمصممة خصيصاً لمناطق النزاع والحرب، تقتصر أهمية المنهجيات البحثية والأسس المعرفية للبحث على تحديات العمل الميداني (كامبيل 2017، غودهاند 2000، الأكاديميات السويسرية للفنون والعلوم 2017، وود 2006). فهي تناقش التحديات والممارسات الفضلى المرتبطة بالنزول إلى الميدان، وتقييم الوضع الأمني في مناطق محددة، والاهتمام بسلامة الباحثات والباحثين والمجتمعات المعنية، وتقييمات الجهات الفاعلة المحلية للبحث وتلبية توقعاتها، وأخذ التأثيرات المحتملة للبحث على المجتمعات المحلية بالحسبان، وإغفال أسماء مصادر البيانات المجمّعة. ولممارسة المراجعة (الذاتية) أثناء عملية البحث الميداني، يُطبّق مبدأ "عدم الإضرار" (وهو يشمل الانتقاء الحذر للباحثات والباحثين المحليين والمجتمعات المحلية المبحوثة، والتأمل في علاقات السلطة بين الفريق البحثي والفئات والشخصيات المُخاطبة، والحساسيات "الثقافية"، والمرونة في اختيار الباحث/ة للمنهجيات) (غودهاند 2000). ورغم أن هذا المبدأ مطبّق منذ عقود في الأدبيات النقدية المتعلقة بفرض نهج المنظمات غير الحكومية (NGOisation)، والقطاع الإنساني في مناطق الحرب والنزاع (هوغمان، وبيتاواي، وبارتولومي 2011، وفيبين 2016)، إلا أننا نجده غير كافٍ، ليس فقط من حيث عدم قدرته على التعبير عن علاقات السلطة بين الفرق البحثية والمجتمعات المبحوثة، وإنما أيضاً لأنه يتجاهل الطرق التي تشكّل بها حالة عدم المساواة في السلطة البحثية هذه أساساً للبحث والبيانات التي يقدمها.

علاوة على ما سبق، يخضع تقسيم العمل المفروض ضمن قطاع المعرفة للاستقصاء على يد النسويات والنسويين من الفلاسفة والناشطات/الناشطين مثل سارة أحمد (2000). ورغم أن أحمد تؤسس تحليلها لعلاقات السلطة والقوة خلال عمليات مقابلة "الآخر" على أسئلة ما بعد استعمارية (أو محررة لاستعمار الأبحاث) من قبيل "من يستطيع الكلام؟" (سبيفاك 1988) و "من يتكلم هنا؟" (موهانتي 1991)، إلا أنها تدعّم هذه النقاشات بسؤال معرفي. فبطرح أحمد لسؤال "من هو العارف هنا؟" (الصفحة 61)، فإنها تضع فعل مقابلة ما يسمّى الأشخاص موضوع البحث في صميم تحليلها. ومن خلال طرحها لمفهوم "صنمية الغريب" (يقصد بالغريب هنا: الشخصية أو المجتمعات المبحوثة) فإنها تشدد على أن القدرة على الاقتراب من الناس والتعرّف إليهم عن كثب متمحورة أصلاً حول مهمة محددة المسار سلفاً لإجراء نوع محدد من الأبحاث.

> يُنْتَجُ الغريبُ كفئة ضمن المعرفة، عوضاً عن أن يدخل حيّز الوجود في غياب المعرفة. وبالتالي فإن التبعات الضمنية لعملية إعادة النظر هذه في العلاقة بين المعرفة والغرباء هائلة: فهذه العملية تقترح أن المعرفة مرتبطة بتشكّل مجتمع، أي بتشكّل "نحن" تَعْرِف من خلال "الغريب" (وليس في مقابله أو الحديث عنه) (الصفحة 55).

وتمضي أحمد قُدُماً في اعتراضها على العلاقة بين "من يَعْرِفُون" و "من يُعْرَفُون" لتشير إلى تناقض حاسم: "يَظْهَرُ الغريبُ وكأنه صورة بلاغية أو استعارة في ذات الوقت الذي يُعامَل فيه على أنه مستحيل. وبالتالي يتحوّل الغريب إلى مجرّد صورة تجعله ضرورة الترجمة مستحيلاً" (الصفحة 59).

وعليه، وكما هو حال الأمثلة المذكورة في بداية هذا النص، فإن إنتاج المعرفة يقتضي وجود علاقات وثيقة مع الأشخاص موضوع البحث للحظة زمنية محددة ولغرض محدد. وبحسب كلمات أحمد، فإن هذه العلاقات،

"تؤسَّس لكي تُهدَّم" (الصفحة 59). بعبارة أخرى، لن يعرف الباحثون والباحثات عن سياقات معيّنة إلا من خلال الاقتراب من الغريب، وغالباً من خلال دخول المجتمعات بوصفهم هم أنفسهم "غريبات وغرباء". ولكن رغم المحافظة على غرابة الشيء المبحوث وعدم المس بها، إلا أن غرابة الباحث/ة تخضع للتحوّل من خلال فعل الترجمة إلى جمهور أوسع. لذلك، فإن ترجمة الغريب إلى لغة المجتمع العارف ("إظهار الغريب ضمن المألوف"، الصفحة 57) يعني ضمناً، كما تجادل أحمد بالقول، انتقالاً "من نقص أنطولوجي إلى امتياز معرفي" (الصفحة 60). أما المقاربة البحثية الشمولية التي تخدم البقاء فتبتعد عن هذه الثنائية، بما أن الغريب هو في الوقت ذاته أيضاً عضو/ة في المجتمع، مهتم/ة بالبحث من أجل البقاء، وليس من أجل إنتاج المعرفة لغرض إنتاج المعرفة بحد ذاته.

تعود أحمد إلى الجدل القائل إن إمكانية الحديث المتبادل والجهد الذي لا بد من استثماره في بناء العلاقات مع الشخصيات أو المجتمعات المبحوثة تُستنزَف أصلاً في مهمة إنتاج المعرفة لكي تُترجم إلى جمهور محدد (معظمه خارج سياقات المجتمعات المبحوثة)، وتتكئ أحمد على الإثنوغرافيا النسوية لتسلط الضوء على تحدّيات "استحالة" الالتقاء. وعلى الرغم من إقرارها بإنجازات البحوث النسوية، إلا أنها تستقصي بطريقة نقدية مدى قدرة المنهجيات النسوية على إنتاج نوع مختلف من المعرفة. تعود أحمد إلى الأدبيات الإثنوغرافية النسوية لتسعينيات القرن الماضي، لتجيب عن هذا السؤال من خلال الإشارة إلى استحالة هذا الجهد. وهي تعتمد على "الدور الانعكاسي" (reflexive turn) في الأنثروبولوجيا لتُظهِرَ كيف أن محاولات إلغاء علاقات السلطة عبر التشارك في التأليف، والعمل مع الشركاء في البحث عوضاً عن الشخصيات المفتاحية ممن يمتلكن ويمتلكون المعرفة، والحصول على التفويض من الشخصيات المبحوثة والحديث نيابة عنها، يظل (إلى حد كبير) ضمن ثنائية الاقتراب من فعل الترجمة وليس الاقتراب من ممارسة الفعل، والخلق، والمقاومة، والبقاء. "إن إعادة تعريف "الشخصية صاحبة المعرفة" أو "الشخصية المفتاحية" بوصفها "شريكاً متساوياً" تعمل بالتالي على إخفاء علاقات السلطة التي تظل فاعلة على إنتاج الورقة البحثية. بعبارة أخرى، سردية التغلب على علاقات التفويض في الإثنوغرافيا التقليدية تمثّل شكلاً آخر من أشكال التفويض" (الصفحة 64).

في نهاية تحليل أحمد لـ "صنمية الغريب"، تطرح رأيها المتمثل في أننا يجب أن نعمل ضد "الفرضية القائلة إننا نستطيع تحويل "كينونة" الغرباء إلى معرفة" (الصفحة 74). وإذا ما أردنا تجاوز المحاولات السائدة للاقتراب في حالات التضامن والفعل من أجل إنتاج المعرفة فقط، فإننا بحاجة إلى تفنيد هذه الافتراضات التي تُتداول (ويُعاد تداولها) في الأوساط الأكاديمية.

تتبنى المؤلفات النسويات الجذريات والمؤلفون النسويون الجذريون مقاربة متقاطعة تستقصي كيف تنتج أنظمة السلطة المتداخلة تموضعات مهمّشة، لكي توجّه انتباه المؤلفات والمؤلفون من خلال هذه المقاربة إلى مجمل منظومة المعرفة الأكاديمية وصناعتها الإنتاجية النيوليبرالية، حيث غالباً ما يربطن/ون هذا النقد بالتحليلات (التاريخية) للرأسمالية العالمية (أحمد 2021، موهانتي 2003 و2013، تشاترجي ومايرا 2014).

كما حلّل المنظّرات والمنظرون النسويون كيف تعتمد الآلة الحربية الإمبريالية على خلق لغة حرب ذات طبيعة جندرية محددة من أجل إنتاج نظام من المعاني يطبّع عنف الحرب (كون 1993)، مشددين على الامتياز الأبستمولوجي (المعرفي الدلالي) المتضمن في الأطر الإمبريالية لصياغة المعنى، وتحديداً في خطابات الحرب. فيما مضت أخريات وآخرون في النقد إلى أبعد من ذلك مجادلات/ين بالقول إن غياب العدالة الجندرية هو بحد ذاته سبب جذري للحرب. ومن خلال تبنّي المؤلفات والمؤلفين النسويين لهذه العدسات المتقاطعة في التحليل تمكّنوا من أن يجادلوا بطريقة مقنعة أن على المرء الذي يريد فهم تجارب النساء مع الحرب أن يضع الجندر في سياق علاقات السلطة. وعلاوة على ما سبق، هنّ يقترحن ويقترحون أن الأنظمة المتداخلة لعدم المساواة تجعل عنف الحرب سلسلة متصلة ومستمرة، وليس ظاهرة محتواة بدقة بين التاريخين الرسميين لبداية أي نزاع ونهايته (كوكبورون 2010).

تترك هذه المساهمة تبعات كبيرة على إنتاج المعرفة ضمن ظروف الحرب، لأنها تصرّ على تفحّص التقاطعات المعقدة بين أنظمة عدم المساواة وظواهر الحرب (مثل النزوح، ونزع الملكيات، والفقر، إلخ) عند السعي إلى تقديم زعم معيّن بمعرفة الحياة الجندرية للشخصية المدروسة أو عند وضع تصوّر مفاهيمي عن هذه الحياة الجندرية (طبر وميعاري في ورقة ستصدر لاحقاً، دوهاتشيك 2016). بعبارة أخرى، ليس بوسع المرء ببساطة أن يعزل الجندر كعدسة أساسية للتحليل وإنتاج المعرفة، كما هي الممارسة السائدة في العديد من أشكال المعرفة حول سوريا (طبر وميعاري في ورقة ستصدر لاحقاً). عوضاً عن ذلك، يجب وضعه ضمن أنظمة متقاطعة أوسع من العلاقات الإمبريالية والعنف الاقتصادي، والاجتماعي، والنفسي. وكما سنبيّن أدناه، فإن هذه هي المقاربة التي تمارسها منظمة "النساء الآن من أجل التنمية"، وهي بالتالي ذات طابع تحويلي بالنسبة للنساء المشاركات في هذا البحث.

تمضي هذه المواقف النسوية المتحررة من الاستعمار بهذا التحليل القوي قُدُماً وتشير إلى حقيقة مفادها أنه في تقاليد إنتاج المعرفة الغربية، تُعتبرُ المقاربات والاستراتيجيات والأخلاقيات البحثية السائدة جزءاً من العلاقات الإمبريالية والاستعمارية (المصري 2017، داتا 2018، أوروبا التحرر من الاستعمار، دون تاريخ، دينزين، ولنكولن، وتوهيواي سميث 2008، وكين، وخوبي، وسيهاوير 2017، وسلايطة 2014، وزافالا 2013). وترقى هذه المقاربات التي تستند إلى مفهوم الحداثة/ الاستعمارية إلى مستوى تأكيد علاقات الهيمنة هذه في إنتاج المعرفة. وكما يجادل المفكر الأرجنتيني المتحرر من الاستعمار والتر ميغنولو فإن الحداثة بالتالي يمكن أن تُفهَم على أنها إطار إبستمولوجي مرتبط بالمشروع الاستعماري الأوروبي بطريقة لا يُمكن فصم عراها (2007).

خلال العقود القليلة الماضية، عززت صاحبات الآراء ووجهات النظر المتحررة من الاستعمار تركيزهنّ على الاستراتيجيات البحثية من خلال الاصطفاف إلى جانب النضالات الاجتماعية التي تهدف إلى إحداث تحوّل في علاقات السلطة العرقية، والجنسية، والاستعمارية (دينزين ولنكولن، وتوهيواي سميث 2008). فالمواضيع البحثية، والأسئلة البحثية، والبحوث الميدانية، وتقييم البيانات المجمّعة، والاستفادة من نتائج البحوث يجب أن تُطوّر وأن تُنفّذ جنباً إلى جنب مع المجتمعات والحركات المُقاوِمة، وأن تخدم احتياجاتها السياسية، كما يجادل العديد من المؤلفات والمؤلفين المتحررين من الاستعمار. فهذه الممارسة لا تهدف إلى تحطيم علاقات السلطة الأساسية فحسب، وإنما هي تُظهِرُ أيضاً أن البحث بحد ذاته يمكن أن يصبح أداة في السعي إلى بدائل اجتماعية للحداثة الاستعمارية (زافالا 2013). وبهذا المعنى، فإن أخلاقيات البحث تتمحور حول الضرورات السياسية للجموع الاجتماعية والسياسية. وعليه فإن أخلاقيات البحث تصبح مسؤولية سياسية جماعية.

كما سنُبيّن لاحقاً، فإن المقاربة الشمولية للبقاء، والتي وظّفتها منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" كجزء من عملية إعادة خلق الفرص لتطوير بحث تحويلي، اعتمدت على إنشاء روابط بين النساء المتعرّضات لجرائم الحرب وانتهاكاتها. وقد مكنت هذه الروابط النساء من إنشاء فضاءات ومساحات للمقاوَمة مثل "عائلات من أجل الحرية" ما سمح بإمكانية وجود سرديات بديلة للسرديات المعمّمة. وفي تضاد مع مفهوم "صنمية الغريب" الذي طرحته أحمد، فقد اتّحدت جهات انتاج المعرفة حول مسائل مثل الاختفاء القسري وإبراز أصوات النساء. سمح هذا الشيء بتحويل الألم إلى فعل، بينما قادت المجموعة مجتمعة استراتيجيات البحث وغايته وعرّفتها.

إحداث تحوّل في المنظورات التحليلية: من الأسفل إلى الأعلى، ومن الألم إلى القوة

يستند تاك ويانغ (2014) في تحليلهما للجهود التي تبذلها بحوث العلوم الاجتماعية السائدة لاستخلاص سرديات الألم الخاصة بالفئات المبحوثة من "السكان الأصليين" و"أبناء الغيتو" ومجتمعات "الآخرين المعرّضين للدراسة المفرطة" (الصفحة 223) إلى عمل بيل هوكس (1990) للإشارة إلى حقيقة أن مثل هذه السرديات تطمس السؤال المتعلق بكيفية تحويل الألم إلى فعل ومقاومة.

طالما أن الكائنات الخاضعة للبحث هي مجتمعات مُفترض أنها معرضة للضرر وتحتاج إلى تداخلات، فإن السرد المعرفي في بحوث العلوم الاجتماعية يظل قائماً دون أن يتعرّض للتحدي، ومفاده أن البحث في أسوأ الحالات هو ببساطة توسيع للمعرفة الشائعة (وبالتالي فهو لا يتسبب بأي ضرر)، وأن البحث في أحسن الأحوال هو حل للمشكلة (وبالتالي فهو مفيد). ويبرر السرد المعرفي هذا مجموعة من التداخلات التي تُنفّذ في المجتمعات، وهو يعامل المجتمعات على أنها تخوم لا بد من إضفاء الصفة الحضارية عليها، بغضّ النظر عن الاستنتاجات المحددة للمشاريع البحثية الفردية (الصفحة 244).

خضع معنى إنتاج المعرفة ضمن ظروف العنف والاضطرار، مع الأمل بإمكانية استخدام عملية توثيق الجرائم للمطالبة بالعدالة في المستقبل لنقاش جماعي ضمن نقاشات مجموعتي نقاش مركزتين تديرهما ميسّرات أجريت بين أواسط تشرين الثاني/ نوفمبر وأواسط كانون الأول/ ديسمبر 2020 مع الباحثات (الميدانيات) المشاركات في مشروعين بحثيين تابعين لمنظمة "النساء الآن من أجل التنمية". وهذان المشروعان البحثيان هما "خيالات المختفين السوريّين: شهادات قريباتهم عن الخسارة والغموض"[6] و"قراءات معمقة للنساء السوريات حول الراهن والمستقبل والمفاهيم المرتبطة بهما: عن الهويات، والأدوار الجندرية، والعنف، والسلام والعدالة، وسيناريوهات العودة إلى سوريا"[7]. شاركت أربع نساء في نقاشات مجموعة النقاش المركزة الأولى، فيما شاركت سبع نساء في مجموعة النقاش المركّزة الثانية. دامت النقاشات التي جرت عبر الإنترنت في كل مجموعة 90 دقيقة تقريباً وشمل اللقاء منهجية شبه مهيكلة. وقد شملت النقاط الأساسية للنقاش إعادة بناء للعملية البحثية وأهدافها، إضافة إلى أهمية الفهم الذاتي النسوي لهذه العملية بالذات ومنهجياتها.

في هذه الورقة البحثية، نحن لسنا قادرات وقادرين على تقديم تحليل شامل للحرب وتبعاتها على المجتمع.[8] وتُعدُّ الحرب المتواصلة في المحافظات المختلفة في البلد والعمليات الحربية المحددة التي تسببت بالنزوح الداخلي لما يقرب من 13.3 مليون إنسان سياقاً أساسياً حصل فيه مشروعان بحثيان لمنظمة "النساء الآن من أجل التنمية". ومع تقسيم البلد إلى مناطق سلطة تسيطر عليها أطراف متحاربة مختلفة، إضافة إلى إعادة تنظيم الحياة بعد الفرار من سوريا، وتحديداً إلى الدول المجاورة، ظهر إلى حيّز الوجود واقع معقد ينطوي على ظروف بقاء متفاوتة وتجارب محتملة مختلفة للمجتمعات. وثَبُتَ أن معرفة الباحثات (الميدانيات) في منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" لهذه الظروف بطريقة ذاتية وعيشهن لها سابقاً شكّلا عنصراً أساسياً بالنسبة لهن.[9]

علاوة على ما سبق، وبعد مرور أكثر من عقد على قيام الثورة ثم اندلاع الحرب في سوريا، تبدو مطالب الحركة الاحتجاجية الثورية بنظام سياسي ديمقراطي شامل لجميع الناس وبالعدالة الاجتماعية الاقتصادية كأشباح

---

[6] "خيالات المختفين": صُمّم هذا المشروع ونُظّم جنباً إلى جنب مع مبادرة سورية أخرى هي "دولتي". وقد أجريت مقابلات مع عدد إجمالي من النساء بلغ 52 امرأة من قريبات أشخاص مغيّبين قسرياً حيث سئلن عن الآثار الاجتماعية، والمالية، والاقتصادية للاختفاء القسري على حياتهن. أجريت المقابلات في أجزاء مختلفة من سوريا (في محافظات إدلب، وحلب، والسويداء، ودرعا)، إضافة إلى لبنان والأردن. وحظي المشروع بتمويل من المؤسسة السويدية المعنية بحقوق النساء "كفينا تيل كفينا". يمكن تحميل النسخة الكاملة من التقرير على العنوان التالي: (https://women-now.org/ar/shadows-of-the-syrian-disappeared/)

[7] في مشروع "قراءات النساء السوريات"، أجريت مقابلات مع عدد إجمالي من النساء بلغ 57 امرأة، معظمهن من النازحات داخلياً اللواتي كنّ يعشن في أجزاء متنوعة من البلاد لكن الأخريات كنّ يعشن في تركيا، ولبنان، وعدد من الدول الأوروبية الأخرى. وبعد تدريب سبع باحثات ميدانيات من الرقة، والحسكة، وإدلب، ودمشق، والبقاع (لبنان)، وغازي عنتاب (تركيا)، وألمانيا، ركزت المقابلات على تحليلات النساء للهويات، ومقارباتهن للتغيرات في الأدوار الجندرية، وتحليلاتهن للعنف، وفهمهن لمفاهيم العدالة والسلام في سوريا. يمكن تحميل النسخة الكاملة من التقرير على العنوان التالي:
https://women-now.org/syrian-womens-readings-of-the-present-future-and-associated-concepts

[8] للمزيد من المعلومات، الرجاء مراجعة التقارير الصادرة عن المركز السوري لبحوث السياسات (https://www.scpr-syria.org/category/publications/policy-reports/)

[9] للمزيد حول هذا الموضوع، الرجاء مراجعة النص أدناه.

تنتمي إلى ماضٍ سحيق. ودون وجود أمل بسلام عادل وشامل، فإن الدمار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي يطال المجتمعات نتيجة الحرب المتواصلة هو عملية تقود إلى تآكل أكبر. غير أن هذه العملية يمكن أن تتعرض للتحدي، حتى في المشاريع البحثية، من خلال إنشاء مساحة جماعية للمراجعة والمشاركة وعبر بناء النساء المهمشات من سوريا لـ"نحن" جماعية بطريقة متأنية. وكانت منى[10]، وهي إحدى الباحثات الميدانيات اللواتي كنّ قد أجبرن على العيش تحت الحصار لمدة أربع سنوات في الغوطة ثم أجبرت على التهجير قد أوضحت ذلك قائلة:

> نظل نقول "نحن" النساء السوريات، ونظل نستعمل صيغة "نحن"، لأنه على الرغم من وجود الكثير من الأشياء المرتبطة بفردانيتنا، إلا أننا نظل نتشارك بالكثير من المخاوف، والتحديات، والمفاهيم المشتركة. لقد أسهم ذلك في التخفيف من وطأة الهزيمة التي كنت أحملها في داخلي حتى وقت قريب. فقد انسحبت من كل شيء، وأردت الابتعاد عن كل شيء، لأنني كنت شخصياً مهزومة. لكنني عندما أنجزت هذا البحث، أدركت أن هناك سوريات أخريات مهزومات أيضاً، وهن يعبّرن عن حقيقة أنهن مهزومات بطريقة مشابهة. كان منح الناس صوتاً أداة في غاية الأهمية.

نراجع فيما يلي كيف يمكن لنساء سوريات مهمشات، وعلى الرغم من الحرب، إنشاء مساحة جماعية للتأمل والمراجعة في مشاريع بحثية نسوية دون الحديث ببساطة "نيابة" عن النساء المشاركات في المقابلات، كما نراجع النطاقات الاجتماعية والسياسية التي يمكن إعادة تأسيسها ضمن هكذا مشاريع "على الرغم من الهزيمة". ونظراً للطبيعة الشمولية للمقاربة التي تتبناها هذه الاستراتيجية البحثية والتي يمكن أن تخدم استمرار النضال في سبيل العدالة والحرية، فإننا لا نفهمها على أنها استراتيجية بحثية تحويلية فحسب، بل نرى فيها استراتيجية بحثية ضرورية للبقاء أيضاً.

ما خلف الهيكلية البحثية

ثمة شرط أساسي مسبق لفهم المشاريع البحثية لمنظمة "النساء الآن من أجل التنمية" ألا وهو أن الباحثات لسن مضطرات إلى أن يستكشفن أولاً "ميداناً" معروفاً لا بد من استقصائه. فبما أن منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" هي منظمة غير حكومية، فإنها منخرطة حالياً وكانت منخرطة أصلاً انخراطاً عميقاً في حياة المجتمعات المحلية من خلال مختلف المراكز النسائية التي أنشئت خلال السنوات القليلة الماضية.[11] وبالتالي، فإن الموظفات والباحثات في المنظمة لا يدخلن ما يسمّى ميداناً بحثياً، وإنما هنّ منغرسات فيه أصلاً؛ كما أنهن في حالة تفاعل دائم مع الفتيات والنساء على مستوى المجتمع من خلال تنفيذ أنشطة مثل الحماية، والدعم النفسي الاجتماعي، والتمكين الاقتصادي، والمشاركة السياسية للنساء، والتدريب المهني، إضافة إلى مناصرة حقوق النازحات والمهجرات ومجتمعاتهن في لبنان.

في الوقت ذاته أيضاً، تتسبب الحرب بحصول تشتت في "الميدان"، بما في ذلك تقطيع أوصال المجتمعات عن بعضها البعض، ما يفرض المزيد من التحديات على البحث، ويؤكد على أهمية البحث الذي يُجْرِيه المجتمع بحد ذاته؛ وكما تقول ن. ج. "رغم أنني سورية، إلا أنني غير مطلعة بشكل عميق على كافة السياقات التي أنشئت في سوريا في آخر 10 سنوات. وبالتالي فإن وجود باحثات ميدانيات يقمن في المناطق التي تقيم فيها النساء المشاركات في المقابلات سيُغني البحث ويضفي منظورهن عليه". في الحقيقة، معظم موظفات المراكز في لبنان هن أنفسهن نازحات ومهجّرات من سوريا خبرن أوضاعاً مشابهة من العنف، والرض النفسي،

---

[10] لأسباب أمنية، نكتفي باستعمال الأسماء الأولى للباحثات والباحثين والأحرف الأولى من أسمائهم.

[11] توجّب إغلاق المراكز النسائية التي كانت قد أنشئت أصلاً في مناطق مختلفة من سوريا بسبب الحرب. أما حالياً، فإن المراكز التابعة لمنظمة "النساء الآن من أجل التنمية" قائمة حصرياً في لبنان.

والأسى للأوضاع التي مرّت بها النساء والفتيات اللواتي يشاركن في أنشطة المراكز. ويصح هذا الأمر أيضاً على معظم باحثات منظمة "النساء الآن من أجل التنمية". ويشمل أفق التجربة المشترك هذا فهماً مختلفاً اختلافاً جوهرياً للذات لدى الباحثة في علاقتها مع الشريكة في المقابلة. ويُشكّل إدراك علاقة الألفة والمسؤولية (العلمية إضافة إلى السياسية) هذه ليس على المستوى الفردي فحسب، وإنما إدماجها منهجياً أيضاً ضمن العملية البحثية، وبحسب وجهة نظرنا، أساساً لمقاربة شمولية.

ومع ذلك، فإن هذه المقاربة الشمولية ليست متاحة أو متوفّرة باتساق في جميع الأبحاث التي يجريها فريق منظمة "النساء الآن من أجل التنمية". فعلى سبيل المثال، تعرّضت مراكز المنظمة في بعض مدن النزاع في سوريا إلى الإغلاق أو القصف على يد قوات النظام السوري، كما هو الحال في الغوطة التي تقع في ضواحي دمشق. إضافة إلى ذلك، وفي مواقع أخرى، مثل شمال شرق سوريا، لم تسمح الظروف السياسية والقيود بإنشاء مراكز أو تنفيذ أنشطة مع النساء ولأجلهن. في تلك الحالات، يستعمل فريق الأبحاث في المنظمة آليات بديلة لدعم النساء المشاركات: مثل تعيين متخصصة (سورية) في الدعم النفسي لمساعدة الباحثات الميدانيات في إجراء المقابلات، وإحالة النساء المشاركات في المقابلات إلى مراكز محلية أخرى قادرة على تقديم بعض الدعم، وفقاً لحاجاتهن. ونحن نرى آليات الدعم هذه بوصفها جزءاً لا يتجزّأ من استراتيجية بحثية تحويلية تهدف إلى إعطاء الأولوية على الدوام لاحتياجات المجتمع.

آفاق التجربة المشتركة وإعادة تكوين "نحن"

يستند ما نحاول تحديده نقدياً من خلال جدلية الألفة والمسؤولية إلى تجارب صراع البقاء في مناطق الحرب التي خبرتها معظم الباحثات (الميدانيات) المشاركات في المشروعين في حياتهن. ومن جهة أخرى، أدت تجاربهن الذاتية مع الفقد، والألم، والعنف، والرض النفسي إلى تكوين علاقة تتسم بالحميمية مع النساء اللواتي أجرين المقابلات معهن، استناداً إلى تجربة مشتركة. ومن جهة أخرى، شكّلت المقابلات، كما تبيّن، عبئاً نفسياً هائلاً، وتحديداً لأنها أعادت إحياء ذكرى التجارب الذاتية لدى السيدات المشاركات في المقابلات. وعندما تصبح الظروف التي تُجرَى فيها المقابلات، فوق ذلك كلّه، نوعاً من التهديد الوجودي بسبب العمليات العسكرية، كما كان الحال في المنطقة المحيطة بالقامشلي أو في محافظة إدلب، فإن التجارب المُريعة تُنقل إلى الحاضر المباشر. وقد وصفت سولنار، وهي إحدى الباحثات الميدانيات في نقاشات مجموعة النقاش المركزة الثانية، هذه الأوضاع والمسؤولية الصعبة التي تتحملها الباحثة بسبب الحرب، من خلال الكلمات التالية:

> تُذكّراني أنت وب. ج. بالوضع النفسي الصعب أثناء الهجوم التركي (غزو القوات المسلحة التركية لشمال البلاد في 2019). كنتُ أعيشُ حالة من النزاع الداخلي القوي قبل الهجوم عندما كنا نسمع فقط عن تهديدات من السلطات التركية بالهجوم. كنتُ أفكّرُ في التزامي بأداء واجبي لصالح البحث، وكانت هناك علامة استفهام كبيرة بخصوص سلامتي إذا ما حصل الهجوم، وبخصوص ما إذا كنت سأبقى على قيد الحياة أم لا. كانت المنطقة الحدودية كلها تتعرض للقصف في ذلك الوقت، وهي لا تبعد عن قريتي أكثر من كيلومتر واحد.
>
> ذهبت مرّة إلى إحدى القرى المقصوفة من أجل تقرير وعلقت خلف جدار لمدة ساعة بسبب قنّاص كان يستطيع تعقّبي إذا ما تحركت. لقد عشت أنا والسيدات اللواتي شاركن في المقابلات فترات عصيبة. تحدّثن عن 10 سنوات من الحرب والدمار، ووجدن أنفسهن في مواجهة لحظة جديدة لا يعرفن فيها ماذا سيحصل لهن عند حدوث الهجوم التركي المحتمل. كانت هناك نازحة من عفرين سألتني: "أين أستطيع الذهاب الآن إذا ما اندلعت حرب جديدة؟ (...) لا أستطيع العودة إلى عفرين، ولا أعرف أحداً هنا". والأمر ذاته ينطبق على امرأة من الرقة.
>
> واجهنا التحديات، وبذلنا قصارى جهدنا لإنهاء جميع المقابلات وتسليمها في الوقت المناسب.

بما أن منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" وفّرت الدعم النفسي المتخصص للباحثات (الميدانيات)، فقد مكّنها ذلك من التعامل مع البعض من الضغوطات المتعددة. وتحوّل هذا الدعم إلى أداة هامة للتأمل المشترك.[12] وثمة أمر حاسم ألا وهو أن إجراء مقابلات مع نساء أخريات يواجهن ظروفاً مشابهة كان عنصراً أساسياً في تعزيز البقاء الذاتي، إضافة إلى أنه أصبح جزءاً من "نحن" جماعية. تستفيض ب. ج. من نقاشات مجموعة النقاش الثانية في شرح هذا الأمر قائلة:

> بسبب القصف، كان الوضع في إدلب بأكملها صعباً جداً (...). كان وجود حنان اللكود (المعالجة النفسية) معي بعد كل مقابلة خطوة مفيدة للغاية. كنت بحاجة ماسّة إليها لكي أخبرها بجميع الأوضاع السيئة التي كنت أواجهها. وخلال الاتصالات العديدة التي جرت بيننا، كنا نلزم الصمت لدقائق، ونصغي إلى أصوات البراميل المتفجرة. كان الوضع مريعاً، ويجب أن نعترف أن الحرب جعلتنا نشعر أننا أكبر عمراً. إضافة إلى ذلك، اضطررت إلى النزوح في منتصف فترة المشروع، وانتقلت إلى مدينة إدلب وقررت المضي قُدُماً في إجراء المقابلات (...). وخلال العمل، قابلت الكثير من الناس، وتعلّمت منهم كيف أكون أقوى. وكان العديد منهنّ قد عانين من خسائر في أفراد عائلاتهنّ، وكان لديهنّ أقارب مفقودون، لكنهنّ كنّ مع ذلك يتحلّين بالصبر ويتمتعنّ بالقوة.

رغم أن الكثير من الدراسات قد شرحت جميع المصاعب المرافقة لإجراء البحث ضمن ظروف الحرب و"تسليم (المقابلات) في الوقت المناسب"، إلا أن فعل البحث بحد ذاته تغيّر من كونه مجرّد مهمة يجب إنجازها، إلى أداة تساعد في بناء "نحن" جماعية، كما تشرح ن. ح.:

> قد تكون المجموعة (مجموعة الواتساب) الجزء الأهم في الفعل الذي نقوم به. فجميع الباحثات كنّ في أوضاع صعبة، بمن فيهن أولئك اللائي كنّ في لبنان، وتركيا، وأوروبا. وفي بعض الأحيان، شعرنا أننا لم نكن ننجز عملاً، بل كنا نفعل شيئاً متعلّقاً بنا شخصياً، ونريد فعله معاً لأننا شعرنا أنه قد يترك أثراً شخصياً أو اجتماعياً أو سياسياً.

إضافة إلى ما سبق، أسهمت المشورة النفسية، إلى جانب الدعم من فريق البحث – والذي شمل تقسيم المهام مثل تفريغ نصوص المقابلات، والدعم العاطفي، والتقييم المشترك للأوضاع المتغيرة بسرعة على الأرض – في إنشاء إطار مكّن من إجراء المقابلات أصلاً. وعلاوة على ما سبق، أثبت إنشاء فضاء أو مساحة تسمح للنساء المشاركات في المقابلات بممارسة حقهن في الترويح لقصصهن ضمن جميع الظروف، كما عبّرت منى عن الأمر في نقاشات مجموعة النقاش المركزة الثانية، وبكل وضوح، كيف فهمت الباحثات الميدانيات في حوارات مجموعتي النقاش المركزتين عملهن المحدد كشكل من أشكال المسؤولية السياسية المتمثلة في إبقاء ذكريات السيدات وسردياتهن حيّة ونشر هذه المعارف؛ وإلا فإن قضاياهن، ومطالبهن، وتجاربهن، وحقوقهن ستتعرض للتجاهل، وسيطويهن النسيان هن ومجتمعاتهن في سوريا وعلى مستوى العالم.

[12] تعليق من منظمة "النساء الآن من أجل التنمية": كان إنهاء المقابلات بغضّ النظر عن وضع الحرب هو قرار اتّخذته العديد من الباحثات الميدانيات. غير أن الباحثة الأساسية في المنظمة طلبت من الباحثات الميدانيات عدة مرات إيقاف المقابلات، حفاظاً على سلامتهن. وفي النهاية، احترمت المنظمة قرار الباحثات وتفهّمته بوصفه آلية مُقَاوَمَة من الباحثات الميدانيات.

أسهم إنتاج سرديات بديلة تستند إلى الوقائع المُعاشة للنساء المهمشات، ومواجهة الدعاية (البروباغندا) التي يبثها النظام السوري والأطراف المتحاربة الأخرى، فضلاً عن أمور أخرى، في جعل إنتاج هذه المعرفة جزءاً من نضال ضد النسيان "و" جزءاً من النضال الذاتي للباحثات (الميدانيات) للبقاء.
كانت هذه العلاقة القائمة على الألفة والمسؤولية جوهرية أيضاً بالنسبة للنساء المشاركات في المقابلات في كلا المشروعين. ففي مشروع "خيالات المختفين"، وتحديداً بالنسبة للنساء المشاركات في المقابلات، كانت قدرتهن على الحديث عن تجاربهن الذاتية والإصغاء إليهن، تمثّل خرقاً للصمت عن هذه التجارب بالنسبة لهن كقريبات للمختفين قسرياً.[13] وبما أن منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" أنشأت نظام دعم للمشاركات في المقابلات، فإن هذه الخطوة سمحت للمنظمة بإيجاد إطار أساسي لجعل العمل ممكناً. وإضافة إلى حصول المشاركات في المقابلات على الدعم النفسي، فقد حظين أيضاً بخدمات دعم أخرى، مثل العناية بالأطفال أثناء المقابلات ونظام للإحالة. وقد علّقت منال من مجموعة النقاش المركز الثانية على هذا الأمر قائلة:

> بعد أن انتهت النساء من رواية قصصهن، أدركنا أحياناً أن لديهن احتياجات عاجلة، وكان لدينا نظام إحالة، حتى في إدلب (رغم أننا لم نكن نتمتع بذات الموارد المتاحة لنا في لبنان). وقد حصلت بعض النساء على إحالة للحصول على دعم طبي، أو إغاثي، أو نفسي، أو قانوني. كنا قادرات وقادرين على استخلاص هذه الحاجات الأربع من المقابلة، وقد بدأنَ يعرفن عن الخدمات الممكنة المقدمة في المنطقة. وفي الوقت ذاته، بدأت المؤسسات التي نحيل النساء إليها تعرفنا من خلال النساء.

سمح توفير خدمات الدعم المختلفة لعبء الكلام عن تجارب المرأة الذاتية كقريبة لشخص مختفٍ، إضافة إلى عبء الإصغاء إلى استراتيجيات المحافظة على البقاء هذه مع أخذ تجاربها الذاتية مع الاختفاء القسري بالحسبان، بأن يُدمجا بطريقة منهجية ضمن العملية البحثية كما أوضح أنس في نقاشات مجموعة النقاش المركزة الأولى:

> قد تكون هناك ناشطة نسوية قادرة على العمل على المشروع دون أي دعم مؤسسي، لكن هذا الشيء لا يمكن أن يكون مستداماً على المدى البعيد، لأنه كانت هناك تكاليف مطلوبة، وتدريبات مطلوبة، إضافة إلى إمكانية توفير منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" لخدمات الإحالة والدعم. فعلى سبيل المثال، عندما احتاجت المشاركات في المقابلات إلى دعم نفسي، استطعنا توفير خدمات الإحالة لهن، لذلك دون وجود دعم مؤسسي قد يكون هناك أشخاص متحمّسون قادرون وقادرات على فتح الأبواب، لكنهم لن يكونوا قادرين وقادرات على الاستمرار إذا لم تكن هناك علاقات قوية توفّر خدمات إحالة فاعلة لذلك فالفريق البحثي قد يتسبب بنكء الجراح وإبقاءها مفتوحة دون المساهمة في اندمالها. قلنا في بداية اجتماعنا: يجب أن تتمتع الباحثات اللواتي ينجزن العمل بمهارات عالية في فن الإصغاء، وأن يتحلين بالمرونة في التعامل مع اللقاءات التي تُلغى، وتعديل المواعيد، والسؤال عدة مرات عن اتفاقيات التعويضات، وأن يكن قادرات على تقديم الدعم النفسي ليتمكن من إنجاز هذا المشروع.

أسست خدمات الدعم الإطار الإجمالي لإنشاء مساحة جماعية تسمح لمن يُجرون المقابلات ولمن يشاركن ويشاركون فيها بممارسة التأمل والمراجعة الذاتية، وهو ما يمكن أن يساعد نساء مهمّشات من سوريا أيضاً بصورة أساسية على إعادة تكوين "نحن" جماعية بطريقة فاعلة. وفي حالة مشروع "خيالات المختفين"، حظيت

[13] رغم وجود عدة مبادرات سورية تعمل على مسألة الاختفاء القسري، إلا أن مقاربة منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" والمتمثلة في التركيز على قريبات الأشخاص المختفين قسرياً كانت فريدة من نوعها، وبالتالي، فقد أسهمت في إيجاد مساحة للنساء لكي يُسْمِعْنَ أصواتهن في المجتمعات السورية، إضافة إلى العالم بأسره.

إعادة تكوين الهويات والذوات الجماعية كعملية اجتماعية، ورمزية، وسياسية بالتشجيع من النقاشات الجماعية التي نُظّمت للمشاركات في المقابلات في المراكز النسائية التابعة لمنظمة "النساء الآن من أجل التنمية" في لبنان. فمشاركة النساء لتجاربهن، إضافة إلى ألمهن وخسارتهن، مع بعضهن البعض، سمحت لهن، كما قال أنس في نقاشات مجموعة النقاش المركزة الأولى، بخلق جو من التضامن. ومن خلال الدعم الإضافي من منظمة "النساء الآن من أجل التنمية"، قررت المشاركات بعدها إطلاق مبادرة إنسانية سياسية للمحاربة في سبيل إطلاق سراح جميع المعتقلين والمخفيين في سوريا، وهي مبادرة باتت معروفة الآن واسمها "عائلات من أجل الحرية".[14]

لا يمكن لهذا المسار الذي انبثق من كسر الصمت فردياً بخصوص الاختفاء القسري عبر الخضوع لمقابلة، إلى تنظيم النضال ضد هذه الجرائم، لا أن يُصمم على لوح ولا أن يُعلن كهدف لعملية بحثية. أما من خلال استعمال استراتيجية بحثية تحويلية، فإن بالإمكان إدماج الفضاءات المخصصة للتأمل الجماعي والدعم، وإعادة تكوين الذوات (بناء على فهم مشترك لعلاقات السلطة والهيمنة، إضافة إلى قدرة الباحثات على التعاطف، واستعدادهن للإصغاء) بطريقة منهجية ضمن العمليات البحثية. أما السؤال المتعلق بما إذا كانت هذه الفضاءات ستشهد توسّعاً إضافياً لتنظيم (أو إعادة تنظيم) نضال من أجل العدالة، كما هو الحال مع "عائلات من أجل الحرية"، فيعود بصورة أساسية إلى المشاركات في البحث المنخرطات في مثل هذا المسعى الصعب.

مقاربة شمولية للبقاء

يتطلب إجراء الأبحاث في مناطق الحروب التمتع بالمرونة الدائمة، والقدرة على التكيف مع الأوضاع المتغيرة بسرعة على الأرض. واجهت الباحثات الميدانيات تحدّيات عديدة في أداء مهام مثل العثور على مكان آمن لإجراء المقابلات، أو التعامل مع حالات التوقف التي حصلت أثناء الاجتماعات، أو الإلغاءات التي طالت هذه الاجتماعات، أو نقل البيانات بأمان، وهذا غيض من فيض المهام التي توجّب عليهن التعامل مع تحدياتها. وعلى مستوى الاستراتيجيات والأهداف البحثية، تطلبت المرونة القدرة على تغيير غايات المشروع عندما تقتضي الضرورة. ورغم أن كلا المشروعين ركّزا على التجارب التي عاشتها النساء، إلا أن مشروع "قراءات معمقة للنساء السوريات" كان لديه هدف واضح يتمثل في عرض آراء صاحبات الشأن المهمشات أنفسهن عن ظروفهن واستراتيجيات المحافظة على البقاء التي اتّبعنها، إضافة إلى مقارباتهن للتغيرات الطارئة على الأدوار الجندرية، وتحليلهن للعنف، وفهمهن لمفهومي العدالة والسلام في سوريا. ولضمان القدرة على المشاركة في النقاشات (الدولية) المختلفة لهذه المسائل، فإن إنتاج مثل هذه المعرفة يجب أن يجعل أصوات النساء السوريات مسموعة، وأن يساعد بالتالي في محاربة النسيان أيضاً. وهذا الأمر يجب أن يُرسي الأرضية لأعمال المناصرة الفاعلة – كما وصفتها مارية المديرة التنفيذية لمنظمة "النساء الآن من أجل التنمية" في مجموعة النقاش المركزة الثانية – التي تضطلع بها المنظمة وغيرها من المنظمات والمبادرات السورية أيضاً. كان الهدف الأصلي لمشروع "خيالات المختفين" يختلف اختلافاً طفيفاً. فقد كانت منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" تسعى في الأساس إلى جمع قصص قريبات الأشخاص المختفين من أجل تدعيم أرشيف للتاريخ الشفوي ستنشئه منظمات سورية مختلفة. تروي منال متذكرة هذا الهدف وما حصل قائلة:

> كانت خطتنا الأساسية تقتضي حفظ هذه القصص وأرشفتها. لكن ثمة سؤالاً كان يدور في أذهاننا على الدوام: ما هو التالي؟ وحتى النساء اللواتي قابلناهن، كنّ يعربن عن تقديرهن لفكرة إعطائهن الفرصة لرواية هذه القصص وأننا سنعمد إلى أرشفتها، لكنهن كن يسألن دائماً عن أثر ملموس أو فعل ملموس.

[14] يمكن العثور على معلومات إضافية عن نشاطات "عائلات من أجل الحرية" على موقع المبادرة على الإنترنت، الرجاء مراجعة (/https://syrianfamilies.org/ar).

تعود الفكرة الأعم المتعلقة بإنشاء تاريخ شفوي سوري إلى عام 2016[15]، عندما بدأت مبادرات سورية معارِضة مناقشة سبل التصدي لسرديات النظام السوري حول الحرب. كانت الغاية الأساسية من إتاحة قصص صراع البقاء اليومي هي بناء أرشيف يساعد بصورة أساسية في محاربة النسيان، عدا عن أنه يمكن أن يمهّد الأرضية لمقاضاة النظام وحلفائه وغيرهم من الأطراف المتحاربة على جرائمهم ضد الإنسانية وجرائم الحرب التي ارتكبوها. ووفقاً لمارية في نقاشات مجموعة النقاش المركزة الأولى، فإن ثمة نقطتين هامتين يجب تعلّمهما من تجارب صراع آخر ضد حالات الإخفاء القسري بعد الحرب الأهلية اللبنانية في ثمانينيات القرن العشرين: من جهة، أهمية بناء علاقات بين عائلات المختفين والمختفيات قسريا، ومن جهة أخرى، حق جميع الأشخاص المختفين قسريا بالمعاملة المتساوية. وبناء على ذلك، فإن العمل على حالات الاختفاء القسري في سوريا يجب أن يشمل جميع الأطراف المتحاربة (قوات النظام السوري، والمجموعات الإسلامية المتطرفة، وفصائل المعارضة المسلحة، وقوات الإدارة الذاتية الكردية)، رغم أن حوالي 90% من حالات الاختفاء القسري تُنسب إلى النظام السوري. وفي العملية البحثية، أسهم هذان الاعتباران كلاهما أيضاً في إشاعة جو من الثقة.

علاوة على ما سبق، طرحت المشاركات في المقابلات أفكارهن الخاصة بالأشياء الأخرى التي يمكن القيام بها، وهذا سمح لهن بالبدء بإعادة تعريف الهدف الأساسي للمشروع خلال العملية البحثية، بينما تمكنت منظمة "النساء الآن من أجل التنمية" في الوقت ذاته من التعامل مع عملية إعادة الصياغة هذه بمرونة وانفتاح. وأسهم توفير مساحة تسمح للمشاركات أنفسهن بتكييف البحث وإعادة توجيهه في تسليط الضوء على أهمية هذه المساحة كفضاء تُعتبرُ الباحثات والمشاركات في البحث مسؤولات عن تطويره معاً.

من منظور البحث التحويلي، يبيّن المشروعان البحثيان كيف يمكن تصميم البحث في مناطق الحرب وتنظيمه دون أن يقتصر على إجراء مجموعة من المقابلات وتقييمها بطريقة مضبوطة علمياً وفق هدف بحثي معرّف بطريقة صارمة. وبالاستناد إلى الألفة والمسؤولية، فإن تطوير فضاءات جماعية للتأمل، والدعم، وإعادة تكوين الذوات يشير إلى القدرة الكامنة لدى البحوث على إحداث التحولات حتى ضمن ظروف الطرد، والهروب، والحرب – كما تذكر منى:

> نحن هنا لا نجري بحثاً حول حالة، وإنما حول شيء ندفع ثمنه كل يوم وعلى جميع مستويات حياتنا منذ 10 سنوات وحتى الآن.

كلمات شكر

نحن ممتنون وممتنون جداً للتعليقات المفصّلة والنقدية التي تلقيناها من المراجعتين مارية العبدة (منظمة "النساء الآن من أجل التنمية") وبترا دانيكر (قسم دراسات التنمية في جامعة فيينا). كما نود أن نتقدم بالشكر إلى الوكالة النمساوية للتنمية على تقديم الدعم المالي لهذا البحث عبر تمويلها لمشروع "معرفة الحرب".

ملاحظات حو الإسهامات

منظمة **"النساء الآن من أجل التنمية" (النساء الآن)** هي منظمة نسوية تقودها نساء وتكرّس عملها لتعميق دور النساء في صياغة مستقبل ديمقراطي لسوريا وتعزيز هذا الدور. وتُعتبرُ هذه المنظمة التي أسستها في يونيو/ حزيران 2012 الكاتبة والصحفية السورية المشهورة سمر يزبك الآن أكبر منظمة نسائية في سوريا، حيث تخدم آلاف النساء والفتيات سنوياً داخل سوريا وفي الدول المجاورة، عبر ثلاثة برامج متكاملة في ثلاثة مجالات

[15] يمكن العثور على معلومات إضافية تخص أرشيف التاريخ الشفهي السوري في تقرير "خيالات المختفين"، الصفحة 12 https://women-now.org/ar/shadows-of-the-syrian-disappeared

هي برامج الحماية، والتمكين، والمشاركة. كما تعمل منظمة "النساء الآن" على الأبحاث، والمناصرة، وإقامة الحملات على المستويين المحلي والدولي. وتركّز أبحاث المنظمة وأنشطتها في مجال المناصرة بصورة أساسية على إنتاج المعرفة النسوية مثل توثيق تجارب النساء وشهاداتهن وجمعها، وإجراء الدراسات والتحليلات الكمية والنوعية المعمّقة، والقيام بحملات التوعية المحلية والدولية المتعلقة بحقوق المرأة، والتحركات التي تقودها الناشطات، والمبادرات النسوية في المجتمع الأهلي، والعنف المبني على النوع الاجتماعي، وظروف معيشة النساء في سوريا.

مشروع "**KnowWar** **(الإنتاج المعرفي في زمن الحرب واللجوء – تطوير أسس مشتركة للبحوث المرتبطة بسوريا)** هو مشروع تعاوني بين المركز السوري لبحوث السياسات، وقسم دراسات التنمية في جامعة فيينا، وجمعية "مساواة" غير الحكومية، ومركز دراسات التنمية في جامعة بيرزيت، ومركز أبحاث وتعليم السلام في جامعة جبال الألب الأدرياتيكية كلاغنفورت. وبناء على إعادة تشكيل حالات التضامن في مناطق الحرب والنزاع، يعتمد مشروع "معرفة الحرب" على الركائز التالية:

- إجراء أبحاث تخص حالات التضامن ضمن المجتمعات السورية، والفلسطينية، واللبنانية المهمشة وبينها في لبنان،
- التوصل إلى مفهوم للاقتصاد التضامني ضمن ظروف النزاع المسلّح في سوريا والاحتلال الاستعماري في فلسطين،
- وضع تصورات مفهومية للإبستمولوجيات الخاصة بالاستراتيجيات البحثية التحويلية.

مشروع "معرفة الحرب" ممول من الوكالة النمساوية للتنمية. للمزيد من المعلومات، الرجاء زيارة (https://www.know-war.net/).

الدكتور هيلموت كريغر هو منسّق المشروع.

كلاوديا فيسر هي مرشحة لنيل شهادة الدكتوراه وتعمل في جامعة فيينا. وقد كانت عضوة في الفريق الإداري للمشروع وباحثة مساعدة في مشروع "معرفة الحرب".

الدكتورة أدريانا قبيعة هي باحثة في شؤون الجندر والجنسانية في الشرق الأوسط. وهي متخصصة في أنثروبولوجيا النسوية والمثلية في لبنان.

المراجع

Ahmed, S. (2012). *On Being Included. Racism and Diversity in Institutional Life*. Durham, London: Duke University Press.

Ahmed, S. (2000). *Strange Encounters: Embodied Others in Post-Coloniality*. London: Routledge.

Al-Masri, M. (2017). Sensory Reverberations: Rethinking the Temporal and Experiential Boundaries of War Ethnography. *Contemporary Levant*, 2(1), 37-48.

Altorki, S., and El-Solh, C. (Eds.) (1989). *Arab Women in the Field: Studying Your Own Society*. Syracuse, New York: Syracuse University Press.

Campbell, S. P. (2017). Ethics of Research in Conflict Environments. *Journal of Global Security Studies*, 2(1), 89-101.

Chatterjee, P., and Maira, S. (Eds.) (2014). *The Imperial University: Academic Repression and Scholarly Dissent.* Minneapolis: University of Minnesota Press.

Choudry, A. and Kapoor, D. (2013). Introduction. NGOization: Complicity, Contradictions and Prospects. In Choudry, A. and Kapoor, D. (Eds.). *NGOization: Complicity, Contradictions and Prospects*. London, New York: Routledge, 1-23.

Cockburn, C. (2010). Gender Relations as Causal in Militarization and War. International *Feminist Journal of Politics*, 12(2), 139-157.

Cohn, C. (1993). Wars, wimps and women: talking gender and thinking war. In Cooke, M. and Woollacott, A. (Eds.). *Gendering war talk*. Princeton: Princeton University Press, 227-246.

Datta, R. (2018). Decolonizing both researcher and research and its effectiveness in Indigenous research. *Research Ethics*, 14(2), 1-24.

Decoloniality Europe (n.d.). *Charter of Decolonial Research Ethics*. Retrieved January 9, 2022, from https://decolonialityeurope.wixsite.com/decoloniality/charter-of-decolonial-research-ethics

Denzin, N. K, Lincoln, Y. S., & Tuhiwai Smith, L. (Eds.) (2008). *Handbook of Critical and Indigenous Methodologies*. Thousand Oaks: SAGE.

Duhacek, D. (2015). The Women's Court: A Feminist Approach to in/Justice. *European Journal of Women's Studies*, 22(2), 159-176.

Erakat, N. and Saghieh, N. (Eds.) (2016). *NGOs in the Arab World Post-Arab Uprisings: Domestic and International Politics of Funding and Regulation*. Washington DC: Tadween Publishing.

Goodhand, J. (2000). Research in conflict zones: ethics and accountability. *Forced Migration Review* 8. Retrieved January 9, 2022, from https://www.fmreview.org/accountability-and-displacement/contents

Hill Collins, P. and Bilge, S. (2016). *Intersectionality*. Cambridge: Polity Press.

hooks, b. (1990). Marginality as a site of resistance. In Ferguson, R. et al. (Eds.). *Out there: Marginalization and contemporary cultures*. Cambridge: MIT, 241-243.

Hugman, R., Pittaway, E., & Bartolomei, L. (2011). When 'Do No Harm' is Not Enough: The Ethics of Research with Refugees and Other Vulnerable Groups. *British Journal of Social Work*, 41, 1271-1287.

Keane, M., Khupe, C. & Seehawer, M. (2017). Decolonising Methodology: Who benefits from Indigenous Knowledge Research? *Educational Research for Social Change*, 6(1), 12-24

Mignolo, W. D. (2007). Delinking: The Rhetoric of Modernity, the Logic of Coloniality and the Grammar of De-Coloniality. *Cultural Studies*, 21(2), 449-488.

Meari, L. and Tabar, L. (forthcoming). De-colonial Feminist Methodologies and Transformative Knowledge Production in/on the Arab Region: The Case of Syria. (KnowWar working paper).

Moghnieh, L. (2017). 'The violence we live in': reading and experiencing violence in the field. *Contemporary Levant*, 2(1), 24-36.

Mohanty, C. T. (2013). Transnational Feminist Crossings. On neo-liberalism and radical critique. *Signs*, 38(4), 967-991.

Mohanty, C. T. (2003). *Feminism Without Borders: Decolonizing Theory, Practicing Solidarity.* Durham: Duke University Press.

Mohanty, C. T. (1991). Under Western Eyes: Feminist Scholarship and Colonial Discourse. In Mohanty, C.T., Russo A. and Torres L. (Eds). *Third World Women and the Politics of Feminism*. Bloomington: Indiana University Press.

Salaita, S. (2014). Normatizing State Power: Uncritical Ethical Praxis and Zionism. In Chatterjee, P. and Maira, S. (Eds.) (2014). *The Imperial University: Academic Repression and Scholarly Dissent.* Minneapolis: University of Minnesota Press, 217-236.

Spivak, G. C. (1988). Can the Subaltern Speak? In Nelson, C. and Grossberg, L. (Eds.). *Marxism and the Interpretation of Culture.* University of Illinois Press: Urbana, 24-28.

The Swiss Academies of Arts and Sciences (2017). *A Conflict Sensitive Approach to Field Research. Doing Any Better?* Akademien der Wissenschaften Schweiz: Bern.

Tuck, E. and Yang, K. W. (2013). R-words: Refusing research. In Paris, D. and M. Winn, M. (Eds.). *Humanizing Research: Decolonizing Qualitative Inquiry with Youth and Communities.* Thousand Oaks: SAGE.

Wibben, A. T. R. (Ed.) (2016). *Researching War. Feminist Methods, Ethics and Politics.* London and New York: Routledge.

Wood, E. J. (2006). The Ethical Challenges of Field Research in Conflict Environments. *Qualitative Sociology*, 29, 373-386.

Zavala, M. (2013). What do we mean by decolonizing research strategies? Lessons from decolonizing, Indigenous research projects in New Zealand and Latin America. *Decolonization: Indigeneity, Education & Society*, 2(1), 55-71.